



ISSN 2439-5881

THE GAZELLE

VOL. 4, NO. 2

DECEMBER, 2019

A Multi-Disciplinary Journal of
The Faculty of General Studies
Federal University, Dutse

التسامح في الخطب العربية المنبرية لعبد العزيز سيّ السنغالي:

دراسة تحليلية

Dr. Ahmad Dame DIOP

الدكتور أحمد دام جوب

قسم اللغة العربية ، جامعة إلورن ، إلورن نيجيريا

ahmad.dd@unilorin.edu.ng

الملخص

يهتم العلماء السنغاليون الخطب العربية المنبرية إهتماما كبيرا ، لأنها وسيلة من وسائل بث التسامح ، وبيان الحقوق والواجبات الدينية والاجتماعية ، والدعوة إلى احترام الحرية ، وقبول رأي الآخر ، والأمر بنبذ التطرف والفرقة والتسلط والقهر والعنف بجميع أشكاله ، فشيخ عبد العزيز سيّ - يرحمه الله - كان خطيبا وشاعرا مثقفا ، وكان يتتبع مقتضيات عصره وما يجري فيه بين الناس من اختلافات سلبية في المعاملات الاجتماعية والسياسية وغيرها فيقوم بمعالجتها عن طريق بث التسامح في خطبه المنبرية أو المحفلية أو في الملتقيات العلمية والمؤتمرات داخل وطنه وخارجه بالأسلوب الأدبي تظهر فيه قدرته الإبداعية ، وتمكنه من اللغة العربية ، ولما كان التسامح في خطبه موضوعا جديرا بالبحث والدراسة لفوائده ، إذ لم يسبق فيه بحث حسب علمي ولذلك قمت بهذا العمل لأقف على خطبته المعنونة بالإتحاد ودراستها على المنهج التحليلي لأتعرف على مدى مهارته في كتابة الخطبة العربية واستعماله الروائع البلاغية لشرح التسامح الذي من معانيه: قبول تنوع الثقافة بين الأفراد وبين المجتمعات ، واختلافهم في الآراء ، وقبول مساواتهم في الحقوق على مبدأ الإنسانية ، وكذلك تبادل احترام الحرية الأساسية بينهم . ولتحقيق الهدف قسمت البحث

على ثلاثة مباحث: أتناول في الأول نبذة عن حياة الخطيب، وفي الثاني أبحث عن مفهوم التسامح والخطبة، وفي الثالث أعرض خطبته بعنوان الاتحاد وأدرسه دراسة وصفية لاستخراج ما فيها من صور التسامح والخيال البلاغي، وأختم البحث بالخاتمة بذكر النتائج والتوصيات . أوصي إخواننا الباحثين على دراسة الأعمال الأدبية في غرب إفريقيا للاستفادة والإفادة .

الكلمات الاستفتاحية : الخطيب ، السنغال ، التسامح ، الاتحاد . البلاغة

مقدمة

يحرص الخطباء السنغاليون على التسامح في خطبهم العربية حرصا شديدا فهو وسيلة من وسائل بيان المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات الاجتماعية ، واحترام الحرية، و الرأي ، والدعوة إلى نبذ التطرف والفرقة والتسلط والقهر والعنف بجميع أشكالها ، يعتبر شيخ عبد العزيز سيه خطيبا مثقفا يتتبع مقتضيات العصر وما يجري في المجتمع من اختلافات ومعاملات اجتماعية وسياسية إيجابية منها وسلبية، فيقوم بمعالجتها عن طريق بث روح التسامح بين الأفراد في المجتمع وذلك خلال خطبه المنبرية والمحفلية أو الملتقيات العلمية داخل وطنه وخارجه بالأسلوب الأدبي تُظهر مهارته وقدرته الإبداعية وتمكنه من اللغة العربية . والتسامح في خطب عبد العزيز موضح جدير بالبحث والدراسة ولذا اخترت خطبته المعنونة ب: "الاتحاد" لدراسته دراسة تحليلية لنعرف مدى مهارته في كتابة الخطب العربية واستعماله أساليب البلاغة الرائعة في شرح التسامح الذي من معانيه قبول التنوع واختلاف الرأي الآخر ، والمساواة في الحقوق والواجبات واحترام الحريات الأساسية للآخرين على المبدأ الإنسانية. ولتحقيق الهدف قسمت البحث على ثلاثة مباحث: الأول نبذة عن حياة الخطيب العلمية، والثاني دراسة مفهوم التسامح والخطبة، وفي الثالث عرض خطبته بعنوان الاتحاد ودراسته ، ثم الخاتمة والتوصيات .

المبحث الأول :نبذة عن حياة الخطيب :

ولد عبد العزيز في مدينة تَواؤُنْ بالسَّنغال سنة ١٩٠٤م ، وتعلم القرآن الكريم على يد والده ثم أتقن حفظه على يد أمي باسين أمي ،وتلقى مبادئ العلوم العربية والشرعية على يد مُحمَّد الهادي ،وأكمل اتقانه لبعض الفنون على يد أخيه أبي بكر.(صمب، غير مؤرخ ص١٨٩)

تولى عرش الخلافة عن والده في تربية تلاميذه وتلقينهم بالطريقة التجانية ما بين (١٩٥٧- ١٩٩٧م) (صمب، غير مؤرخ ،ص١٩٠) وعرف بتأثيره القوي دينيا و اجتماعيا وثقافيا وسياسيا ، وكان شعارا وخطيبا ومعلما ومربيا وكان يشارك في الملتقيات و المؤتمرات الإسلامية في بلده وفي البلاد العربية وكان يتصف بالتقوى والحكمة والدمائة وكان يسعى لحلّ المشكلات وجبر ما كسر في المجتمع وفي الطريقة التجانية ، وذلك لسعة معارفه ومكارم أخلاقه ومرونة جانبه وشعوره للتسامح وللتوفيق ونزهة سيرته، توفي الشيخ رحمه الله سنة ١٩٩٧م في مدينة تواون.٥(جوف ،غير مؤرخ ص١٠٨)

إنتاجاته الأدبية:

ولعبد العزيز ديوان تضمن جلّ آثاره الشعرية والنثرية ، وله عدد من المؤلفات منها : " إنقاذ الإخوان من نزغات الشيطان ١٩٤٩م ، و "تنبيه الغافلين وتبصرة المخطئين" ١٩٥٢م ،و"الواقعي من جميع المخاوف بقدرة العزيز الباقي ، وكتاب " زاد المشمر" ، و" أوضح المسالك في تعريف حياة الشيخ الحاج مالك سه"٦. (شبكة غوغل)

السَّنغال

وهي دولة تقع في غرب قارة إفريقيا ،وهي إسلامية وحكومتها علمانية ، وتطل على المحيط الأطلسي في الجناح الغربي للقارة ،يحدها من جهة الغرب المحيط الأطلسي ، ومن الشرق جمهورية مالي، وفي الشمال الجمهورية الإسلامية الموريتانية ،وأما في الجنوب فمتاخمة لدولة غينيا كوناكري و دولة غينيا بيساور،وأما دولة غمبيا فتحدها في منطقة الجنوب الشرقي

على شكل جيب ترابي فاصل بين الشمال والجنوب السنغالي، وتبلغ مساحة السنغال نحو (١٦١,١٩٧) كيلومتر مربع ، (انجاي ١٨٤١، ص ص ٢٠-٢١) .

المبحث الثاني : مفهوم التسامح:

التَّسامُحُ لفظ مُشتَقٌّ من الفعل تَسامَحَ بمعنى التَّساهل والتَّهاون واللين، (مجمع اللغة العربية ٢٠٠٤ م ص ٤٤٧)، ومن مدلولاته اللغويَّة الحِلْمُ والعفوُ والمسامحة؛ أي غُفرانُ الحقوق، والعفو عن الخطأ، والموافقة على الصَّفح. وتدلُّ السَّماحةُ لُغةً على السَّلاسة، والمساهلة، والتهاون، والحِلْم، والرِّفق، وفي النُّظم الفلسفيَّة العالمية يُنظر إلى التسامح على أنَّه احترامٌ تبادليٌّ بين الأفراد والآراء، وإظهار اللطف والأدب فيما يُعبر عنه الآخرون لفظيًّا أو سلوكيًّا، مهما كان مستواه صحيحاً كان أم خاطئاً

ويعتبر التسامح الديني جزءاً لا يتجزأ من المبادئ الإسلامية ، وتوجد في السنغال خطباء يدعون إلى التسامح الذي يعني التعاون على البرِّ والتقوى، والتكاتف واحترام الحرية وقبول آراء الآخرين وسلوكهم على مبدأ الاختلاف الديني، وهذا المفهوم يتعارض مفهوم التسلط والقهر والعنف. قال تعالى "تعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" وقد قسم بعض العلماء التسامح حسب ما يتضمن مفهومه إلى :

١- قبول تنوع، واختلافات، وثقافات علمنا واحترام هذا التنوع . قال تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " الحجرات، ١٣ .

٢- الاعتراف بالحقوق العالمية للشخص الإنساني، والحريات الأساسية للآخرين.

٣- التسامح هو مفتاح حقوق الإنسان والتعددية السياسية والثقافية والديمقراطية.

٤- أن تطبيق التسامح يعني ضرورة الاعتراف لكل واحد بحقه في حرية اختيار معتقداته، والقبول بأن يتمتع الآخر بالحق نفسه ، كما يعني بأن لا أحدا يفرض آراءه على الآخرين (شبكة غوغل)

قال تعالى "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" البقرة، ٢٥٦ .

قيمة التسامح يعدُّ خُلُقُ التسامح من أهمِّ القيم الإنسانية الحياتية العالمية؛ إذ يُنظر إليه على صعيد الفرد كمُكتسبٍ قيميٍّ راقٍ؛ يُعزِّز احترام الفرد لذاته وارتباطه بالآخرين، كما يُنظر إلى التسامح مجتمعياً على أنه تشريع ذاتيٌّ مُستحقٌّ؛ يضمن تحصيل الحقوق وأداء الواجبات لخلق مجتمعاً متراحماً مُلتحماً، وتُشكِّل هذه النظرة تجاه التسامح مسؤوليةً سياسيةً وكياناً قيميّاً، يُجتمِع على الجميع احترامه والالتزام بمضامينه وأخلاقيّاته. وقد نصّت العديد من البيانات والإشعارات والتقارير الأُممية الحديثة على أهمية تعميم التسامح كسمة جماهيرية عالمية؛ لما يترتّب عليها من حفظ الأرواح والحريات والحقوق، وتجنّب العالم ويلات الحروب والتّشريد، والتّركيز على المنجزات، والسعي إلى تطوير الشعوب بدلاً من صناعة الأزمات، ومن ذلك ما تضمّنه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ألفٍ وتسعمئةٍ وثمانيةٍ وأربعين في معرض سعيه لتعميم التسامح؛ حيث ضمّن الإعلان في بنده الأوّل تأكيداً على حرّية الأفراد منذ ولادتهم، وحقّهم في حفظ حياتهم وكرامتهم، وأشار في مادّته السادسة والعشرين إلى أنّ تنمية التسامح لدى الأفراد كلّهم على اختلاف جنسيّاتهم وأعراقهم ودياناتهم هو أحد أهداف التّربية.

أثر التسامح في حياة الفرد والمجتمعات لا تتوقّف أهمّية التسامح وقيّمته على المعاملات الفردية البسيطة وأنماط العلاقات بين الأفراد، بل إنّ التسامح حاجةٌ مجتمعيةٌ مُلحّةٌ وأساسٌ تقوم عليه كافّة المجتمعات البشريّة، فالصورة الأخلاقية والواقعية للتسامح تنعكس على جميع أنظمة المجتمعات وتقدّمها وتطوّرهما، وعلى فرض انتفاء هذه القيمة المجتمعية ستنتشر مفاهيم العنف والتعصّب والتطرّف، فتتعلّط المصالح، وتنهدم الحضارات وتزعزع عوامل أمنها واستقرارها، وتظهر سيادة الآراء المفروضة (شبكة إنترنت: غوغل ٢٠١٨)

وقد وردت آيات من القرآن الكريم تتحدث عن التسامح منها:

قال تعالى: "وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين" الشورى: ٤٠، وقال أيضا: "ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور" الشورى: ٤٣. وقوله: "ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم" النور: ٢٢. ففي هذه الآيات الكريمة الحث على التسامح و العفو ومساعدة المحتاجين والبرّ إليهم.

ووردت بعض الأحاديث النبوية تدعو إلى التسامح والتكاتف ونبذ الظلم والتطرف منها:
 ١- "..... لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث. - "رواه البخاري

٢- "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن. - "أخرجه الترمذي

٣- قال عقبة رضى الله عنه : لقيت رسول الله ﷺ فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال: يا عقبة صل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عمن ظلمك. - رواه أحمد

٤- عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها ، فجاء بها ، فقيل : ألا نقتلها؟ قال : لا ، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم. - رواه البخاري

٥- ".... إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا..." رواه البخاري

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلی الله علیه وسلم، قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.) - رواه مسلم والترمذي ويقول الشافعي: عن التسامح :

لما عفوْتُ ولم أحقَدْ على أحدٍ * أرحْتُ نفسي من همِّ العداواتِ
وعاشِرُ بمعروفٍ وسامحٌ من اعتدى * ودافعٌ ولكن بالتي هي أحسنُ

ويقول أحمد شوقي أيضاً : عن التسامح

تسامحُ النفس معنًى من مروءتها * بل المروءةُ في أسمى معانيها
تخلقُ الصَفْحَ تسعدُ في الحياة به * فالنفسُ يسعدُها خلقٌ ويشقيها

(إنترنت ويكي الإقتباس ١٧/٢/٢٠٢١ م

(

ما أحسن وأبلغ تلك الآيات والأحداث ،وما قاله الشاعران عن التسامح والتعاطف والتراحم.

مفهوم الخطبة

و تعد الخطبة أو الخطابة وسيلة من أهم وسائل الإرشاد والتوعية للأفراد والجماعات البشرية،وقد عرفت الخطبة بتعريفات منها: أنها فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالاته والتأثير فيه . وتنوع الخطبة بحسب موضوعاتها إلى ما يلي:

١- خطب دينية : وهي ما يلقي على منابر الجمعة، والأعياد،والاستسقاء ،والدعوة والإرشاد.

٢- خطب سياسية : وهي ما يلقي في المحافل السياسية أوالمؤتمرات واللقاءات الدولية.

٣- خطب حربية : وهي ما يلقي بين الجند لتحميمهم وحثهم على الجهاد ، والدفاع عن الوطن .

٤- خطب محفلية : وهي ما يلقي في المحافل والمناسبات العامة ، ويدخل فيها ما يلقي في المناسبات المدرسية (شبكة غوغل)

عرض خطبته الاتحاد ودراستها

للشيخ عبد العزيز خطب عديدة في موضوعات مختلفة ، اخترت منها خطبته التي ألقاها عام ١٣٨٩هـ على منصة مؤتمر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بعنوان الاتحاد، وكان الشيخ آنذك رئيس الوفد السنغالي.(صمب، غير مؤرخ ج ٢، ص ١٩٩ نص الخطبة:

أعزائي ، أحبائي ، ليس هذا الاجتماع وهذا اللقاء إلا الدعوة للإتحاد..."ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا "الحجرات، ١٣ " إنما المؤمنون أخوة "الحجرات ، ١٠ ،
،أنتم بنو آدم وآدم من تراب . نعم ! وجد الإنسان فوجدت فيه غريزة حفظ البقاء فهو دائما يحب الحياة ويسعى لحفظه والدفاع عنها ضد عوامل الفناء وتبلورت فيه بادية ذي بدء بشكل أناني ومعنى فردي ضيق إذ يحسب أن تحفظه للبقاء لا يرتبط بحفظ بقاء غيره ولكن سرعان ما علمته التجارب بأن بقاءه مرتبط كل الارتباط ببقاء غيره واتسعت آفاق مداركه فرأى وجوب المحافظة على أعوانه في الشدائد ممن يرتبط بهم ارتباطا وثيقا بالقرابة الدموية فأصبح يدافع عن إخوانه وولده وأبويه دفاعه عن نفسه فنشأ بذلك مبدأ الغيرة بشكل ضيق تغلب عليه مسحة الأنانية ثم رأى بعد ذلك أن التعاون مع هؤلاء لا يكفيه جميع العوامل التي تهدد كيان هذه الأسرة الصغيرة فهو

محتاج إلى كل من تربطه بهم روابط القرابة الدموية من يشكل معهم مجموعة القبيلة فأصبحت الغيرة في نطاق واسع نسبياً ، وظهّرت في صورة المبدأ القبلي ، وتكونت بذلك الشراذم السلالية ككتل صغيرة لا تشكل قومية بالمعنى الحديث ولا أمة وإذا لم تكن غزيرة حفظ البقاء المذكورة هي العامل الوحيد في نشوء هذا المبدأ وتسير الإنسانية في تطورها البطيء وتقضى مات ومات من السنين تتطور فيها الزعامات القبليّة إلى سيطرة نافذة تضمّ تحتها الشراذم السلالية وتجمعها في وحدة تشكل كل الأمة أو قوما فتتحول الغيرة من صورتها القبليّة إلى شكلها القوميّ أو الجنسيّ فتنشأ بذلك المبادئ القومية أو الجنسية التي كانت المبادئ الأسرية نواة لها ترتقى منها إلى المبادئ الإقليمية ثمّ القاريّة ، وهذه كلها حفظاً للبقاء وسعيًا ضدّ عوامل الفناء. ووراء هذه المبادئ، كلها مبادئ أنبل وأشرف منها والتي تغني عن جميع المبادئ ولا تغني عنها بقية المبادئ وهي المبادئ الإنسانية السامية التي تغني هي وحدها في إسعاد المجموعة البشرية، فنحن محتاجون إليها في كل زمان ومكان . وهذه هي المبادئ العامة الحقّة لأنها ليست بشرية ولكنها وحي السماء لقد أنزلت هذه المبادئ الإنسانية وحيًا من حفل التاريخ النبويّ منذ القديم بالدعاية له والتبشير به والجهاد من أجله . وهذه الرسالة المحمدية أكبر دليل على ذلك. فقد جاء النبيّ الأكرم محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقاً لما بين يديه ومبشراً برسالته لوسارت على مقتضاها الإنسانية لوصلت إلى كل ما تصبو إليه من رقيّ وتقدّم.

"فإن مُحَمَّدًا ﷺ تمكن بتلك المبادئ السامية من إقامة حكومة دينية عمت جزيرة العرب وتناولت أطراف فارس والروم في ربع قرن على أسس تلك المبادئ التي تتخلص في الإيمان بوحدة العظمة الإلهية والإيمان بالمعاد والخلود وبالقدر والنبوة المحمدية والعمل على تثبيت دعائم الإخاء الإنساني والسعي في سبيل رفع مستوى الأمم والأفراد وتطبي قانون المساواة بين طبقات الإنسان في الحقوق والواجبات . وانظر إلى قوله تعالى "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى" (النحل، ٩٢) فإن هذه الآية أجمع آية في القرآن للخير والشر فإنها ما تركت خيرا إلا أمرت به ، وما تركت شرا إلا نهت عنه ، فالدين كهذا وشريعة كهذه هو الدين الحق والشريعة المستقيمة. "وارجع إلى ما بنينا عليه هذا الخطاب : "إنما المؤمنون إخوة" إلى قوله "فأصبحتم بنعمته إخوانا " فإن فيهما إعلانا خطيرا للإخاء بين الناس وإزالة الحواجز والفروق بين الأمم والأفراد لئلا يتميز (كجُور) عن (وَال) ولا (جُلُف) عن (سَلَم) ولا (كَبْ وِيز) عن (فُوت) فهم أخوان مهما كانوا متباعدين في الدم واللغة والوطن والإخاء أمر محتم بين الإنسان والإنسان مهما كانت الفروض الاجتماعية...

"إخواني فالمبادئ العامة السماوية النبوية لا تعني أكثر من أن يكون بنو الإنسان إخوانا على قدم المساواة في كل حق من حقوق الحياة . فهذه أمراضنا الاجتماعية ، وهذا علاجها فالـفـروق والامتيازات الجنسية والشخصية ، لاتحل مشاكلنا الاجتماعية وإنما تزيدها غموضا وتعقيدا فلا يرتقي زيد ولا يتقدم عمرو ، فإن كان لا بدّ

من التعصب فليكن التعصب للدين وللمبادئ لا للأحزاب ، ولا للأشخاص....

" أيها الإخوان وأيها الكهول وأيها الشباب مصدر كل القوى ويا كل القوى يا من بهم مستقبل الشعب والوطن اعتقدوا كل الاعتقاد أنكم أنتم القوى جميعا ، وأنكم كل شيء في الحياة ولكن عليكم أن تعلموا ذلك فتسعوا في سبيل تصديقها والا تنفعوا بقوتكم ، والسبيل إلى ذلك هو الإتحاد فالإتحاد ينتج القوة والقوة تفعل كل شيء ، قدروا أنفسكم واعلموا أن تقديركم لأنفسكم سيرفعكم إلى أقصى آفاق الفضيلة والكمال... " فبذلك تسلمون من التعصب القبلي أو الجنسي أو الأسري فبهذه الأسلحة الخطيرة سلاح الإتحاد بالعلم والتعليم ، سلاح العمل سلاح السعي وراء المصلحة العامة ، بتجاهدون عدو الدين الأوحـد وخصمه الألد : الجهل وليس للدين عدو أشد من الجهل الطبق فإن الجهل يجعل الإنسان كلا شيء أو شيئا خطيرا على المصالح الاجتماعية بل الجهل يقلب الحقائق ظهرا لبطن والله درّ القائل :

إذا ما الجهل خيم في بلاد * رأيت أسودها مسخت قرودا

والعلم حياة الدين وروحه ، وقد قال ﷺ (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ولا شك أن الدين مات في زماننا هذا أو كاد ، فينبغي لنا معاشـر المسلمين أن نتدارك دمائه فنبني عليه ماهدمته البدع والأهواء حتى تكون لنا مثل آبائنا وأجدادنا الذين سعدوا في الدنيا والآخرة " أولئك الذين هداهم الله فبهمديهم اقتده " الأنعام ، ٩٠ ، ، ولا شك أن أسلافنا كانوا على قدمه ﷺ ، واقدام أصحابه ﷺ ، وكفى بذلك شاهدا قوله عليه السلام (العلماء ورثة الأنبياء). وان لا

نقتصر على النظر إلى الدنيا الفانية فقط ، فإن الآخرة هي المقصد الأهم . قال تعالى : (بل توثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى). فإن العقل يحكم بوجوب امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه على الوجه الأكمل ، كما يحكم بوجوب تعلم كيفية الامتثال والاجتناب فإن الأعمال في حد ذاتها صور

قائمة وإنما أرواحها وجود سرّ الإخلاص فيها وذلك لا يكون إلا بالعلم وأيضا من السمع عليه منع إقدام الإنسان أي المكلف على فعل شيء من الأشياء قبل معرفة حكمه ، وفي مختصر الأخضري " ولا يحلّ للمكلف أن يفعل فعلا حتى يعلم حكم الله فيه " وفي شرحه أي ينبغي للإنسان خصوصا العالم أن لا يقدم على فعل أمر ، ولا يخطو خطوة إلا أن يعلم حكم الله فيما يفعله أو يخطو إليه هل هو واجب أو حرام ، أو مندوب أو مكروه أو مباح. إذ الأحكام التكليفية خمسة : الوجوب والحرام ، والندب والكراهة ، والإباحة ، كما أن الوضعية خمسة : الشروط ، والسبب ، والمانع ، والصحة ، والفساد ، وكلها مفصلة في الكتب ، فيجب للإنسان تعلمها قبل أوان بلوغه ، لئلا يلزم ما لم يعلم حكمه فيكون عليه في فعله إثم إقدامه قبل أن يعلم حكمه ، وفي تركه إثم ، إثم الترك ، وإثم الفعل ، قبل معرفته الحكم فيه ، وقد قيل إنّ التعبد من غير فقه كالحمار في الطاحون ، بل قال عَلَيْهِ السَّلَام : (من عبد الله قبل معرفته ولو تقطعت أبدانه إربا إربا لم يزد من الله إلا بعدا). وقال أيضا : (العلم بالله ينفعك معه) ، قيل العلم والجهل بالله لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره ، العلم لا يحصل

إلا بالتعلم والسؤال ، قال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا

تعلمون) الأنبياء : ٧ (صُمِّبَ، غير مؤرخ ، ج 2 ، 2٠١ - ٢٠٥)

دراسة وتحليل:

١ - مناسبة الخطبة:

هذه الخطبة ألقاها الشيخ عبد العزيز سه على منصة مؤتمر الرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٣٨٩هـ دعا بها المسلمين إلى الاتحاد والتكاتف والتسامح ونبذ الأنانية والتعصب بل الأخذ بالمبادئ الإنسانية السامية ، وعلى كل واحد منا أن يسعى على تحفظ بقاء الآخرين وسلامتهم لأن بقاءه مرتبط ببقائهم وسلامته منوط بسلامة الآخرين ، و هكذا ينطبق وجوبا على الأسر والمجتمعات والأقاليم والدول ، فالأنانية والتعصب الذاتي والأسري أو القبلي أو الوطني لا تحفظ على البقاء والأمن والرقاء ، فالإتحاد هو السبيل الوحيد للأمة الإسلامية إلى نيل القوة التي تمكنها من إعادة مجدها وعزّها الديني والاجتماعي والثقافي والحضاري والاقتصادي والسياسي.

٢ - الأفكار الرئيسة للخطبة:

١- إن الاتحاد ونبذ التعصب والفرقة تنتج للأمة القوة والصمود أمام التحديات ، وتحقق لها الإرادة والأمل بإذن الله.

٢- إن احترام الإنسانية والمساواة في الحقوق والواجبات بالتسامح هو السبيل الرشيد لحلّ المشكلات سلميا .

٣- العلم روح الدين وحياته ، والمعيار الذي تقدر به مقادير الناس ومكانتهم في المجتمع ، لا الأنساب ولا الانتماء إلى القبيلة أو العرق مع الجهل.

بدأ الخطيب حديثه بالتعاطف والأخوة والتسامح والوحدة التي من أجلها عقدوا لقاءهم واجتماعهم فأيد فكرته بأي من الذكر الحكيم التي تدعو الناس إلى التسامح وهو الأخذ بالمبادئ الإنسانية والتعارف والوحدة والتكافل في ظل المساواة في الحقوق والواجبات .

وتحدث الخطيب عن الأنانية وأسباب نشأتها وتطورها من الفرد إلى الأسرة ثم إلى القومية والوطنية ، وأن حبّ البقاء والسعي لمحافظة والدفاع عنه هو الذي شكل الأنانية في الإنسان بادیء ذي بدء فحسب أن تحفظه لبقائه لا يرتبط بحفظ بقاء الآخرين ولكنه أدرك بعد التجارب الطويلة أن بقاءه مرتبط كل الارتباط ببقاء غيره ، لأن هناك حاجة ملحة أمامه ولا يقدر على قضائها وحده ، وعلى هذا يجد في نفسه أن الأخوة في ظل الاتحاد والمساواة في كل حق من حقوق الحياة هي التي تحل له مشاكله الاجتماعية ، والسياسية، وأما الفروق والامتيازات الجنسية والشخصية فلا تزيد إلا غموضا وتعقيدا، فلا يرتقي بها زيد ولا يتقدم بها عمرو، ويرى الخطيب أنّ الأنانية إن كان لا بدّ منها فلتكن للدين، وللمبادئ الإنسانية ، لا للأحزاب ، ولا للأشخاص.

وتحدث الخطيب عن المبادئ الإنسانية السامية التي تمكن بها الرسول صلى الله عليه وسلم من إقامة الدولة الإسلامية التي عمت الجزيرة وتناولت أطراف فارس والروم في ربع قرن ، وأن أسس تلك المبادئ تتلخص في الإيمان بوحداية الله وعظمة ألوهيته والإيمان بالمعاد والخلود والقدرة والنبوة المحمدية والعمل على ترسيخ دعائم الإخاء الإنساني ، والسعي في سبيل رفع مستوى الأمم والأفراد ، وتطبيق قانون المساواة بين طبقات الإنسان في الحقوق والواجبات. وعلى ضوء ذلك دعا الخطيب رؤساء الدول والحكومات إلى إزالة الحواجز والفروق بين الأمم والأفراد بادئاً بالحكومة السنغالية قبل الحكومات

الأخرى ولهذا ذكر أسماء المناطق الرئيسة في السنغال وكانت كل واحدة منها تحت ملك وكان ذلك قبل أن تسيطر الفرنسيون البلاد عام ١٨٨٧م. (أنجاي، ١٤١٨هـ ص ١٣)

وجه الخطيب عنايته إلى الشباب والكهول طالبا منهم أن يعملوا بالعلم لأنهم مصدر كل القوى ومستقبل الشعب والوطن ، وأن القوى تعمل كل شيء بإذن الله ، ولا سبيل إليها إلا الإتحاد والأخوة والجهاد ضد الجهل ، وليس للإنسان عدو أكبر من الجهل فهو عدو لدود.

واختتم الخطيب حديثه عن العلم وأهميته قائلا : " العلم حياة الدين وروحه ، العلم قبل العمل ، ولا يحصل العلم إلا بالتعلم والسؤال " قال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) (الأنبياء : ٧) .

٤ - ملامح بلاغية:

استعان الخطيب في شرح أفكاره بصور بلاغية وأدبية، استفتح الخطبة بعاطفة الحب والأخوة لاستمالة السامعين إليه والإصغاء إلى ما يتحدث عنه مدعما فكرة موضوعه بأي من القرآن الكريم على سبيل الاقتباس وحسن الاستفتاح .

وقسم الخطيب الخطبة إلى فقرات مختلفة الطول، استعمل فيها ضرب الخبر للإفصاح والبيان ، فتارة يستخدم جملا على الضرب الابتدائي لاعتقاده أن المخاطبين غير مترددين في صحتها ولا منكرين لها، وطورا يأتي بجمل مؤكدة تحسبا أن المستمع سينكر صحتها، مثل قوله : " إذ يحسب أنّ تحفظه للبقاء لا يرتبط بحفظ بقاء غيره " فقد أكد الفكرة بمؤكدات لتقوية الحكم وصرف المخاطب من الشك والتردد. ومثله قوله : " فإنّ مُجداً - ﷺ - تمكن بتلك المبادئ السامية من إقامة حكومة دينية "

واستعمل الخطيب بعض الجمل الفعلية لقصد ثبوت الحكم لما يتحدث عنه وتجده وهي كثيرة في الخطبة، مثل قوله : " وجد الإنسان فوجدت فيه غريزة حفظ البقاء فهو

دائماً يحب الحياة، ويسعى لحفظها.....) فهذه الجمل تدل على التجدد فكلما وُجد الإنسان توجد فيه تلك الغريزة وحب الحياة والسعي لحفظه. (الهاشمي، ٢٠٠٣م ص ٥٩) ومن أساليب الخطيب استعمال أداة النداء القريب للبعد لقصد التعاطف والأخوة والاحترام، ١٠، كما في قوله (أيّها الإخوان، وأيّها الكهول ، وأيّها الشباب) وكذلك أساليب البيان مثل دلالة التشبيه المرسل في قوله : "وتكونت بذلك الشراذم السلالية ككتل صغيرة " بيانا أن تلك الشراذم تبدو وكأنها كتلة صغيرة وبعد حين تكون كبيرة ، ودلالة التشبيه البليغ في قوله: " كانت المباديء الأسرية نواة لها ترتقى منها...." حيث جعل اسم كان مشبها وخبرها المشبه به لقصد تسوية بين نمو الأسر وانتشارها ونمو النواة التي تنبت الأشجار المثمرة ذات النوات الكثيرة . وكذلك التشبيه المرسل في قوله (...حتى تكون لنا مثل آباءنا وأجدادنا الذين سعدوا في الدنيا والآخرة ...) ونرى دلالة المجاز العقلي في قوله : "وجد الإنسان وجدت فيه غريزة حفظ البقاء.." حث أسند الفعل المبني للمجهول إلى الفاعل إذ إسناد الإيجاد إلى الإنسان مجاز عقلي علاقته الفاعلية (اليمني، ٢٠١٠م، ج ١ ص ٦٨، وكذلك دلالة الاستعارة التصريحية في عجز البيت الذي ذكره (رأيت أسودها مسخت قرودا) حيث ذكر المشبه به للمشبه على طريقة الاستعارة التصريحية ، ونراه كذلك يستعمل دلالة الاستعارة في قوله: (ولاشك أن الدين مات في زماننا هذا ..) حيث شبه الدين بالإنسان وحذفه ورمز له بشيء من لوازمه وهو: مات على سبيل الاستعارة المكنية (الهاشمي، ٢٠٠٣م ، ص ٢٦٥)

ونرى الخطيب أيضا يستعمل أسلوب الطباق بين البقاء والفناء في قوله : " وهذه كلها حفظا للبقاء وسعيا ضد عوامل الفناء " وكذلك بين الزمان والمكان في قوله : " فنحن محتاجون إليها في كل زمان ومكان " وكذلك بين الحقوق والواجبات في قوله : ".....وتطبيق قانون المساواة بين طبقات الإنسان في الحقوق والواجبات"

(القزويني، ١٩٩٣م، ٢، ج ٦، ص ١٤)

رأينا من خلال هذه الدراسة التي نقصد بها الاستفادة والإفادة وتوثيق العلاقة الثقافية بين السنغال وبين دول غرب إفريقيا بما فيها نيجيريا أن الخطيب الشيخ عبد العزيز سيه تمكن من عبقريته وتمكنه من اللغة العربية وأساليبها ترشيد المجتمع الإسلامي على منصة مؤتمر العالم الإسلامي ودعوتهم إلى الاتحاد والتكاتف والإخوة ، كما نادى جميع رؤساء الدول والحكومات إلى إزالة الحواجز والفروق بين الأمم والأفراد ، وأن يسوسوا الناس بالعدل و المساواة في كل حق من الحقوق والواجبات ، ونرى الخطيب يدعو كل المنظمات والتجمعات الدينية والفكرية أو الإدلوجيات إلى الوحدة ونبذ الأنانية والتعصب، فهي أمراضنا وتأخرنا وما لها من علاج إلا الإتحاد والإخوة بالتسامح، ورأيناه يحث الشباب والكهول على الوحدة وطلب العلم لأنهم هم مستقبل الشعوب والوطن ، فالإتحاد قوة ، والقوى تعمل كل شيء في ظلّ المبادئ الإنسانية التي تمكن بها الرسول ﷺ من إقامة حكومة دينية عمت الجزيرة العربية وما حولها من فارس والروم خلال ربع قرن

ونجد الخطيب يستعمل في خطبته أساليب الخطب الناجحة من حيث الشكل والمضمون واساليب البلاغة التعبيرية والتصويرية. ونلاحظ أن استعمال الأساليب التعبيرية والتصويرية في العمل الأدبي تدل على المهارة والقدرة الإبداعية ، ونلاحظ أيضا أن الخطيب لم يذكر مراجع الأحاديث التي ذكرها في الخطبة وكذلك بعض الآيات القرآنية. نوصى إخواننا الباحثين زيادة جهودهم نحو إنتاجات أدباء غرب إفريقيا للإفادة والاستفادة .

- أنجاي، سرين شيخ أمباكي، ١٤١٨هـ، من منظور جغرافي السنغالي، المكتبة الإسلامية دكار/السنغال.
- أنجاي، سرين شيخ أمباكي ١٤١٨هـ، المرجع نفسه.
- جوف، محمد (غرمؤرخ)، تاريخ المدارس القرآنية في غرب إفريقيا، لم يذكر مكان الطبع.
- الهاشمي، أحمد ٢٠٠٣م، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، مطبعة دارالفكر، بيروت.
- اليماني، يحيى بن حمزة العلوي، ٢٠١٠م ج ١، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق الشربيني شريدة طبع دار الحديث القاهرة.
- صمب، عامر، غير مؤرخ، ج ٢،، الأدب السنغالي العربي، مطبعة الشركة الوطنية للنشر الجزائر.
- القزويني، الخطيب ١٩٩٣م، ٢م، ج ٦، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي الطبعة الثالثة، دار الجيل، بيروت.
- مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية.
- شبكة إنترنت (غوغل) آخر تحديث: ٤٨: ١٠، ١٠ سبتمبر ٢٠١٨
- (إنترنت ويكي الإقتباس ١٧/٢/٢٠٢١ م آخر تعديل ١٦ نوفمبر ٢٠٢٠م)